ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Waist Journal for Human Sciences

Journal Homepage: https://wjfh.uowasit.edu.iq/index.php/wjfh/en

Research article

Research Title: Narrative Perspective and the Construction of Place in the Book "Maqtal al-Imam al-Husayn (PBUH) and the Journey of the Captives"

Asst. Prof. Dr. Mohammed Gharkan Sarhan

Wasit University, College of Basic Education, Department of Arabic Language, Iraq

ARTICLE INFO

Keywords: Narrative perspective, narrator, construction of setting, narratology, the martyrdom of Imam Al-Husayn (peace be upon him.

***Correspondence author*:**

mgharkan@uowaseit.iq

Received: 28 **July** 2026
Revised: 29 **September** 2026
Accepted: 30 **September** 2026
Published: 25 **November** 2026

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

***Cite*:**

Sarhan, M. G. (2026). Narrative Perspective and the Construction of Place in the Book *Maqtal al-Imam al-Husayn (PBUH) and the Journey of the Captives*. *Wasit Journal for Human Sciences*, *22*(4/Pt2). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss4/Pt2.2213

ABSTRACT

This research examines narrative perspective, the narrator, and the construction of setting in the book *Maqtal al-Imam al-Husayn (peace be upon him) wa Masir al-Sabaya* (The Killing of Imam al-Husayn and the Journey of the Captives), identifying these as key elements that shape the narrative discourse and generate its meanings.

This research aims to identify narrative perspective patterns, analyze the functions of the narrator, and examine the role of setting in constructing events and highlighting their intellectual and human dimensions, as well as to clarify the interrelationships among these elements within the narrative structure. The study employs a descriptive-analytical approach, examining the text and analyzing its narrative components in light of modern narratological concepts. The nature of the research necessitated its division into two main sections: the first addresses narrative perspective and the narrator—covering concepts, patterns, and functions—while the second focuses on the construction of setting and its relationship with characters, time, and events, ultimately presenting key findings and recommendations.

المنظور السردي وبناء المكان في كتاب مقتل الامام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا

أ.م.د محمد غركان سرحان
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية

المُستخلص

يتناول البحث المنظور السردي والراوي وبناء المكان في كتاب مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا، بوصفها من أبرز العناصر التي تسهم في تشكيل الخطاب السردي وإنتاج دلالاته. وتتمثل مشكلة البحث في بيان الكيفية التي أسهمت بها هذه العناصر في بناء النص، وإبراز وظائفها الفنية والدلالية، ومدى تأثيرها في توجيه رؤية المتلقي.

ويهدف البحث إلى الكشف عن أنماط المنظور السردي، وتحليل وظائف الراوي، وبيان دور المكان في بناء الحدث وإبراز أبعاده الفكرية والإنسانية، فضلاً عن توضيح العلاقات التي تربط هذه العناصر داخل البنية السردية. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال قراءة النص وتحليل مكوناته السردية في ضوء مفاهيم علم السرد الحديثة. وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى محورين رئيسين؛ تناول الأول المنظور السردي والراوي من حيث المفهوم والأنماط والوظائف، فيما خُصص المحور الثاني لدراسة بناء المكان، وعلاقته بالشخصيات والزمان والأحداث، وصولاً إلى أبرز النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: المنظور السردي، الراوي، بناء المكان، علم السرد، مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)

المقدمة

يُعدّ الخطاب السردي من أهم ميادين الدراسات النقدية الحديثة؛ لما ينطوي عليه من عناصر فنية تسهم في بناء النص وإنتاج دلالاته، وقد حظيت مكوناته باهتمام واسع لدى الباحثين، ولا سيما المنظور السردي، والراوي، والمكان، لما تؤديه من دور محوري في تشكيل الرؤية السردية وتوجيه عملية التلقي. وقد أسهمت مناهج علم السرد المعاصرة في الكشف عن طبيعة العلاقات التي تربط هذه العناصر بعضها ببعض، وبيان أثرها في بناء النصوص الأدبية والتاريخية، وإبراز ما تحمله من أبعاد فكرية وجمالية.

ويُعد كتاب "مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا" من النصوص التي تجمع بين التوثيق التاريخي والبناء السردي، إذ لا يقتصر على نقل الوقائع المرتبطة بواقعة الطف وما أعقبها من أحداث، بل يقدمها في إطار فني تتداخل فيه مستويات السرد، وتتعدد فيه الرؤى، وتتفاعل فيه الشخصيات مع المكان والزمان، بما يمنح النص قدرة على التأثير في المتلقي، ويجعله مادة خصبة للدراسة وفق مناهج النقد السردي الحديثة.

وتنبع أهمية هذا البحث من سعيه إلى الكشف عن الكيفية التي تشكل بها المنظور السردي داخل النص، وبيان أنماط الرواة ووظائفهم، وتحليل بناء المكان ودلالاته، مع إبراز طبيعة العلاقة التي تربط هذه العناصر في إنتاج المعنى وبناء الخطاب السردي. كما يحاول البحث

الإفادة من أدوات علم السرد في قراءة نص تراثي ذي بعد تاريخي وديني، بما يسهم في توسيع آفاق الدراسات السردية التطبيقية في التراث العربي والإسلامي.

ويهدف البحث إلى الكشف عن أنماط المنظور السردي، وتحليل وظائف الراوي، وبيان دور المكان في بناء الحدث وإبراز أبعاده الفكرية والإنسانية، فضلاً عن توضيح العلاقات التي تربط هذه العناصر داخل البنية السردية. واعتمد البحث المنهج الوصفي، من خلال قراءة النص وتحليل مكوناته السردية في ضوء مفاهيم علم السرد الحديثة، واستنباط وظائفها الفنية والدلالية، من خلال الإفادة من أبرز المفاهيم والإجراءات التي قدمتها الدراسات السردية المعاصرة، وربطها بطبيعة النص المدروس.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى محورين رئيسين؛ تناول الأول المنظور السردي والراوي، من حيث المفهوم، والتأصيل، وأنماط الرؤية، ووظائف الراوي في بناء الخطاب السردي، بينما خُصص المحور الثاني لدراسة بناء المكان، وعلاقته بالشخصيات والأحداث والزمان، وبيان أنماطه ووظائفه ودلالاته في كتاب "مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا"، ثم خُتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها، وأبرز التوصيات التي يمكن أن تسهم في تطوير الدراسات السردية للنصوص التراثية.

تمثيل المكان

المكان الواقعي والمكان المتخيل

يحظى المكان بأهمية كبيرة في بناء الخطاب الروائي، إذ تتحدد من خلاله طبيعة العالم السردي وعلاقته بالواقع. ويُعد المكان الواقعي أحد العناصر التي تعزز الإيهام بواقعية الأحداث، لأنه يرتبط بأمكنة معروفة يمكن التعرف إليها خارج النص، الأمر الذي يسهم في ترسيخ إحساس القارئ بصدق الوقائع وقربها من الواقع الاجتماعي (حماد، ١٩٨٥، ص ٣١٤؛ ينظر: سرحان، ٢٠٢٦، ص. ٤).

وترى الدراسات النقدية أن الواقعية لا تعني النقل الحرفي للواقع، وإنما تقوم على تمثيله فنياً بما ينسجم مع رؤية الكاتب، ولذلك فإن العمل الأدبي يستمد جزءاً من قيمته من صلته بالبيئة الاجتماعية التي يصورها، وما يعكسه من قضايا وتجارب إنسانية (العيد، ط٢، ١٩٨٤، ص. ٤٣).

ولتحقيق هذا الإيهام بالواقع، يلجأ الروائي إلى تسمية الأمكنة بأسمائها الحقيقية، فيمنحها خصوصية تميزها عن غيرها، وبذلك يشعر المتلقي أن العالم السردي يمتد إلى الواقع الخارجي، فيزداد اقتناعاً بالأحداث والشخصيات. ومع ذلك، فإن استعمال المكان الواقعي لا يلغي الطابع الفني للنص، لأن الروائي يعيد تشكيل المكان وفق رؤيته الإبداعية، ويوظفه لإنتاج دلالات ورموز تتجاوز حدوده الجغرافية (أحمد، ٢٠٠٥، ص. ١٣٢).

كما أن الإحالة إلى أمكنة واقعية تدفع القارئ إلى استحضار ما يعرفه عنها، وربطها بما يقدمه النص من أحداث، فتسهم في توجيه عملية التلقي وتعميق الأبعاد الرمزية والإيحائية التي يقصدها الروائي، وهو ما يمنح المكان وظيفة فنية تتجاوز كونه إطاراً لوقوع الأحداث (الفيصل، ١٩٩٥م، ص. ٢٦٠).

أما المكان المتخيل أو الوهمي فهو المكان الذي يبتكره الكاتب داخل النص، ولا يجد القارئ له نظيراً محدداً في الواقع الخارجي. وينشأ هذا المكان من الخيال الأدبي، وإن كان قد يستلهم بعض ملامحه من أمكنة واقعية، إلا أنه يظل بناءً فنياً مستقلاً، يخضع لمتطلبات العالم السردي، ويؤدي وظائف جمالية ودلالية تتوافق مع رؤية الروائي وأهدافه الفنية.

خصائص المكان المتخيل والمكان الواقعي

قد يستند المكان المتخيل في بعض ملامحه إلى مكان واقعي، إلا أنه لا يمثل نسخة مطابقة له، وإنما يعاد تشكيله داخل النص وفق رؤية الكاتب وخياله الفني، فيكتسب أبعاداً جديدة تتجاوز حدوده الجغرافية (النصير، ١٩٨٠، ص. ٧٢).

وفي هذا السياق، يرى سعيد يقطين أن الأمكنة المتخيلة هي تلك التي يتعذر إرجاعها إلى مرجع واقعي محدد، سواء من خلال أسمائها أو صفاتها، لأنها تنتمي إلى العالم الذي يبدعه النص، وتخضع لقوانين البناء السردي أكثر من خضوعها للواقع الخارجي (يقطين، ط٤، ٢٠٠٥، ص. ٢٤٦).

ولأن المكان المتخيل وليد المخيلة الأدبية، فإنه يتشكل تبعاً للحالة النفسية للشخصيات ولرؤية الكاتب، فقد يبدو فضاءً مفعماً بالأمل والأحلام، يحقق للشخصية ما تتطلع إليه من أمنيات، وقد يتحول إلى فضاء قاتم يعكس الخوف أو القلق أو المعاناة، فيصبح مرآةً للمشاعر والانفعالات التي تعيشها الشخصيات داخل العمل الروائي.

أما الأمكنة التي وردت في كتاب «مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا» فهي أمكنة واقعية معروفة تاريخياً، إذ تستند الحكاية إلى أحداث ثابتة ارتبطت بواقعة الطف وما أعقبها من مسير السبايا، ولذلك جاء حضور المكان فيها حضوراً تاريخياً واضحاً، بعيداً عن التخيل أو الابتكار المكاني.

ويتجلى هذا البعد الواقعي في الخطبة المنسوبة إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، إذ يخاطب الناس قائلاً: "أيها القوم، إن الله . وله الحمد . ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة عظيمة في الإسلام، قُتل أبو عبد الله وعترته، وسُبيت نساؤه وذريته، ودِير برأسه في البلدان على رؤوس الرماح، وهذه مصيبة لا تماثلها مصيبة..."(المجلسي، دت، ص. ٢٦٩) ويعكس هذا الخطاب ارتباط السرد بأحداث تاريخية موثقة، كما يؤكد أن الأمكنة التي انتقلت بينها الوقائع تمثل فضاءات حقيقية أسهمت في بناء البعد التاريخي والإنساني للنص، ومنحت الخطاب السردي قدراً كبيراً من المصداقية والواقعية.

المكان الأليف والمكان المعادي

يُعدُّ تقسيم المكان إلى مكان أليف ومكان معادٍ من المفاهيم التي اهتم بها النقد الحديث، إذ ترتبط قيمة المكان بما يثيره في نفس الإنسان من مشاعر الأمان أو الخوف، والاطمئنان أو الاغتراب. ويرى غاستون باشلار أن التجربة الأولى للإنسان مع المكان تبدأ من البيت، فهو الفضاء الذي يحتضن طفولته، ويمنحه الإحساس بالحماية والسكينة، لذلك يبقى حاضراً في الذاكرة بوصفه المصدر الأول للألفة والاستقرار (باشلار، ط٢، ١٩٨٤، ص. ٣٨).

وينظر باشلار إلى البيت بوصفه أكثر من بناء مادي، فهو مستودع الذكريات والتجارب الإنسانية، والمكان الذي تتكون فيه علاقة الإنسان الأولى بالعالم. ومن ثمَّ يصبح البيت رمزاً للانتماء والطمأنينة، وتظل صورته راسخة في الوجدان مهما ابتعد الإنسان عنه أو تغيرت ظروف حياته (خضير، ٢٠٠١، ص. ٢٣٧).

ولهذا يؤكد أن البيت الذي نشأ فيه الإنسان لا يغادر ذاكرته، بل يتحول إلى جزء من تكوينه النفسي، إذ ترتبط به العادات والذكريات والانفعالات التي ترافقه طوال حياته، فيغدو مكاناً للألفة والحنين، يستحضره كلما اشتد شعوره بالغربة أو فقدان الأمان (باشلار، ط٢، ١٩٨٤، ص. ٣٨).

وتتجلى هذه الدلالة في نص «مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا»، إذ يبرز الحنين إلى الوطن بعد انتهاء رحلة الأسر، فعندما أدرك يزيد بن معاوية تغير الموقف العام وخشي اتساع دائرة السخط، أمر بإطلاق سراح الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ومن معه من أهل البيت (عليهم السلام)، وأذن لهم بالعودة إلى وطنهم، وهو ما يصوره الراوي بقوله: "... أمر بإخراج الإمام زين العابدين والعيال من الشام إلى وطنهم ومقرهم" (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٤٦). ويكشف هذا المشهد عن المكان الأليف بوصفه الفضاء الذي يجد فيه الإنسان أهله وذكرياته ومشاعر الطمأنينة بعد معاناة الغربة.

وفي المقابل، يقدم النص المكان المعادي بوصفه فضاءً يبعث على الخوف والرفض، ويفتقد فيه الإنسان الشعور بالأمن والاستقرار. ويتجسد ذلك في تصوير مدينة الكوفة بعد واقعة الطف، إذ ترتبط في خطاب أهل البيت (عليهم السلام) بالغدر ونقض العهود، وهو ما يظهر في النداءات التي وجهتها العقيلة زينب (عليها السلام) إلى أهلها، مثل قولها: "يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر" (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٠٦)، وكذلك في قولها: "تبّاً لكم يا أهل الكوفة" (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١١١).

ومن ثم فإن دلالة المكان في النص لا تتحدد بحدوده الجغرافية فحسب، بل بما يختزنه من تجارب إنسانية ومواقف تاريخية، فالمكان الأليف يمنح الشخصية الشعور بالانتماء والسكينة، في حين يتحول المكان المعادي إلى رمز للألم والاغتراب، وهو ما أسهم في تعميق البعد النفسي والدلالي في الخطاب السردي.

علاقات المكان

يرد في النص وصفٌ لبعض ملامح مدينة دمشق، إذ يشير الراوي إلى كثرة الأشجار، وتعليق الستور والديباج، وإظهار مظاهر الزينة والاحتفال عند دخول موكب السبايا، وهو ما يظهر في قوله: "... وقد علّقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون منتشرون" (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٢٨).

ومع ذلك، فإن هذا الوصف لا يمنح المكان دوراً فاعلاً في بناء الحدث، إذ يقتصر على رسم الإطار الخارجي الذي جرت فيه الوقائع. فالأشجار والأنهار والزينة لا تؤثر في مجرى الأحداث أو في تطور الشخصيات، وإنما تؤدي وظيفة وصفية تهيئ المشهد السردي، لذلك يبدو المكان هنا فضاءً محايداً احتضن الأحداث دون أن يسهم بصورة مباشرة في توجيهها أو تغيير مسارها.

فوصف المكان ومافيه من مظاهر فرح لدليل واضح على ان اهل الشام حضروا كل مظاهر الفرح والاستبشار لقتل الحسين (عليه السلام) واصحابه وهنا تجلى المكان كمكان معادٍ.

أولاً: علاقة المكان بالزمان

ترتبط عناصر البناء السردي بعلاقات متداخلة، ويأتي المكان والزمان في مقدمة هذه العناصر؛ إذ لا يمكن تصور أحدهما منفصلاً عن الآخر، لأن كل حدث يقع في زمان محدد ومكان معين، فتتشكل من خلال تفاعلهما البنية العامة للنص.

وفي كتاب «مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا» تتجلى هذه العلاقة بوضوح، فالأمكنة التي انتقلت بينها الأحداث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بزمن واقعة الطف وما أعقبها من أحداث، لتصبح جزءاً من الذاكرة التاريخية الإسلامية. ولذلك فإن المكان لا يُقرأ بمعزل عن الزمن، بل يستمد دلالته من الحدث الذي وقع فيه، كما يكتسب الزمان معناه من المكان الذي احتضن تلك الوقائع.

ويتضح هذا الترابط في خطاب العقيلة زينب (عليها السلام) الموجه إلى يزيد بن معاوية، إذ تؤكد أن مرور الزمن لا يمكن أن يمحو رسالة أهل البيت (عليهم السلام) أو يطمس أثرهم، بقولها: "فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا..." (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٢٨). ويبرز هذا الخطاب تلازم الزمان والمكان في النص، إذ يتحول المكان إلى شاهد تاريخي خالد، بينما يغدو الزمان وسيلة لإثبات استمرار الرسالة وبقاء أثرها في الوعي الإسلامي، مهما تعاقبت الأزمنة وتبدلت الظروف.

ثانياً: ربط المكان بالرجاء

تتجلى في النص علاقة وثيقة بين المكان والرجاء، إذ لا يُقدَّم المكان بوصفه إطاراً جامداً للأحداث، بل فضاءً يحمل دلالات إيمانية وإنسانية تتجاوز حدوده المادية. فالأمكنة التي مر بها أهل البيت (عليهم السلام) ارتبطت بالمحنة من جهة، لكنها في الوقت نفسه اقترنت بالأمل في نصر الله وبقاء الرسالة، وهو ما جعل المكان حاملاً لمعاني الصبر والثبات والرجاء في المستقبل.

ويظهر هذا المعنى في ختام خطاب العقيلة زينب (عليها السلام)، إذ تؤكد أن ما تعرض له أهل البيت (عليهم السلام) لن يحول دون تحقق وعد الله، وأن العاقبة لأهل الحق، فتختم كلامها بحمد الله والثقة برحمته، مع الإيمان بأن الجزاء الإلهي كفيل بإنصاف المظلومين وإظهار الحقيقة، مهما بلغت قوة الظالمين (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٣٨).

ومن جهة أخرى، ترتبط رؤية الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) للمكان بنظرته إلى حقيقة الحياة الدنيا؛ فهو ينظر إلى الأمكنة وما تحتويه من مظاهر القوة والسلطان على أنها أمور زائلة لا بقاء لها، وأن البقاء الحقيقي هو للقيم والمبادئ والعمل الصالح. ولذلك يوجّه خطابه إلى الناس داعياً إياهم إلى الاتعاظ بمصير الأمم السابقة، وعدم الاغترار بزخارف الدنيا وتقلباتها.(ويتجلى ذلك في قوله: "أيها الناس، أحذركم من الدنيا وما فيها، فإنها دار زوال وانتقال، تتقلب بأهلها من حال إلى حال، وقد أفنت القرون الماضية والأمم السالفة، الذين كانوا أطول أعماراً وأكثر آثاراً، فأهلكهم الزمان، وصاروا إلى التراب، بعدما كانوا يعمرون الأرض ويملكون أسباب القوة..." (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٤٠).

ويكشف هذا الخطاب عن أن المكان في النص لا يكتسب قيمته من مظهره الخارجي أو من السلطة التي تمارس فيه، وإنما من الرسالة التي يحملها، ومن الأثر الذي يتركه في الوعي الإنساني. فالأمكنة، مهما عظمت، تبقى خاضعة لقانون الفناء، بينما تبقى المبادئ التي دافع عنها أهل البيت (عليهم السلام) حية في الذاكرة والتاريخ، وهو ما منح المكان بعداً روحياً وأخلاقياً تجاوز وظيفته المادية في البناء السردي.

بنية الخطاب السردي في عاشوراء: من الرواية الخارجية إلى شهادات الداخل

لم تكن واقعة كربلاء مجرد حدث تاريخي عابر انقضى بزمنه، بل شكّلت ملحمة إنسانية ورسالية امتدت آثارها عبر العصور. وإنّ عظمة هذه النهضة وجاذبيتها لا تكمن فقط في تضحياتها، بل في طريقة نقلها وتوثيقها؛ حيث تضافرت بنيتها السردية لتقدم لنا مشهدًا متكاملاً ومتعدد الأبعاد يجمع بين التوثيق الموضوعي والمعايشة الوجدانية.

وتتأسس البنية الروائية لحدث الطف على تنوع واعٍ في مستويات الرواة والضمائر السردية، وهو ما يمنح النص التاريخي مصداقية عالية وعمقًا تعبيريًا فريدًا. ينقسم هذا الفضاء السردي في دراستنا إلى ثلاثة مستويات تكاملية:

أولًا: الراوي الخارجي

يتحدد نوع الراوي منذ الصفحات الأولى من العمل الروائي؛ إذ يكشف الاستهلال عن الموقع الذي ينطلق منه في سرد الأحداث. فإذا كان الراوي يروي الوقائع من خارج العالم الحكائي، من غير أن يكون أحد أطرافه، عُدَّ راوياً خارجياً. ويتضح ذلك في النص الذي يصف إرسال رؤوس الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه إلى الكوفة بعد واقعة الطف، إذ يقدَّم الحدث بصيغة الراوي الذي يراقب الوقائع من خارجها وينقلها إلى المتلقي دون مشاركة مباشرة في مجرياتها (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص ص. ١٠١– ١٠٢).

ويُعد هذا النمط من الرواة من أقدم أنماط السرد، إذ عُرف في الملاحم القديمة، حيث يتولى الراوي مهمة الربط بين الشخصيات والقارئ، فيصف الأحداث ويعرضها من موقع المراقب الخارجي. ولذلك تُعرف الرؤية التي يعتمدها بالرؤية الخارجية، لأنها تقوم على نقل الوقائع ووصف الشخصيات والأفعال بقدر من الحياد، من غير النفاذ إلى أعماق الشخصيات أو الكشف عن مكنوناتها النفسية، وإنما تكتفي بإظهار ما يمكن ملاحظته من أقوال وأفعال (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٠٢).

وفي هذا السياق، يعرض الراوي أحداث مسير السبايا وما أعقب يوم عاشوراء من وقائع، مشيراً إلى انتهاك حرمة أحد الأشهر الحرم، وهو شهر المحرم، الذي حظي بمكانة خاصة في الشريعة الإسلامية. وقد أكد القرآن الكريم حرمة هذه الأشهر ونهى عن الظلم فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ...﴾ (القرآن الكريم، ج١١، ٣٦).

كما ورد التأكيد على ذلك في السنة النبوية الشريفة، إذ بيّن الرسول (صلى الله عليه وآله) حرمة هذه الأشهر ومكانتها، وعدَّ شهر المحرم واحداً منها، مما يبرز عظم المخالفة التي ارتُكبت بوقوع القتال فيه، ويضفي على الحدث بعداً دينياً وتاريخياً يزيد من عمق دلالته داخل الخطاب السردي (النيسابوري، ١٣٠٥هـ، ص. ١٣٠٥).

ثانياً: الراوي الداخلي العقيلة زينب (عليها السلام)

ينتقل السرد في هذا الموضع من الراوي الخارجي إلى الراوي الداخلي، إذ يفسح الراوي المجال لإحدى شخصيات النص لتتولى مهمة الحكي والتعبير عن الأحداث من داخل التجربة نفسها، فتغدو الشخصية جزءاً من عملية السرد، لا مجرد عنصر من عناصرها. ويبرز هذا النمط في خطاب العقيلة زينب (عليها السلام)، التي تتولى نقل رؤيتها للأحداث بعد واقعة الطف، معبرةً عن عمق المأساة وما خلّفته من آثار إنسانية ودينية (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٠٨).

ويتجلى ذلك في خطابها لأهل الكوفة، إذ تستنكر ما اقترفوه من جريمة بحق الإمام الحسين (عليه السلام)، وتصور هول الفاجعة بأسلوب يجمع بين قوة الحجة وبلاغة التعبير، فتقول: "ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبدٍ لرسول الله فريتم؟! وأي دمٍ له سفكتم؟! وأي كريمةٍ له أبرزتم؟!..."، وهو خطاب يكشف عن أن الراوي هنا يعيش الحدث ويعبر عنه من داخله، الأمر الذي يمنح السرد بعداً وجدانياً ويجعل القارئ أكثر قرباً من معاناة الشخصية ومشاعرها (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٠٨).

وقد وظفت العقيلة زينب (عليها السلام) صوراً بلاغية مؤثرة لتجسيد فداحة الجريمة، فشبّهت استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بتمزيق كبد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، في إشارة إلى عمق الصلة الروحية والنسبية التي تجمعهما، وإلى عظم المصاب الذي حلّ بالأمة. كما وصفت خروجها مع نساء أهل البيت (عليهم السلام) على نحو يعكس حجم الانتهاك الذي تعرضن له بعد الواقعة، مما أكسب خطابها قوةً في التأثير والإقناع.

ويستند هذا المعنى إلى ما أثبته القرآن الكريم من المنزلة الرفيعة لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (القرآن الكريم، ج٣، ٤٤). ومن ثم يكتسب خطاب العقيلة زينب (عليها السلام) بعداً دينياً وحجاجياً، فضلاً عن قيمته السردية بوصفه نموذجاً للرواية الداخلية التي تنقل الحدث من خلال معايشته المباشرة.

ثالثاً: الراوي المشارك فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين (عليه السلام)

بعد أن يتولى السردَ الراوي المشارك المتمثل في العقيلة زينب (عليها السلام)، ينتقل زمام الحكي إلى راوٍ مشارك آخر هو فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين (عليه السلام)، فتتولى نقل جانب من أحداث المأساة بلسانها، معبرةً عن معاناتها الشخصية وما تعرض له أهل البيت (عليهم السلام) من ظلم وانتهاك بعد واقعة الطف. ويظهر ذلك في الخطبة المنقولة عنها، التي تستنكر فيها ما ارتكبه القوم بحق أهل البيت (عليهم السلام)، وتبين حجم المأساة التي ألمّت بهم (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١١٠).

ويكشف هذا الانتقال عن تحول السرد من الراوي الخارجي إلى راوٍ يعيش الحدث من داخله، فيغدو السرد أكثر قرباً من التجربة الإنسانية، وأكثر قدرة على نقل المشاعر والانفعالات التي صاحبت تلك الوقائع. ويظهر ذلك بوضوح من خلال اعتماد الراوية على ضمير المتكلم، إذ تتحدث عن نفسها وعن أهل بيتها بوصفها شاهدةً على الأحداث ومشاركةً فيها، مما يضفي على الخطاب طابعاً واقعياً ويعزز أثره في المتلقي.

كما يؤكد هذا الأسلوب أن الراوي لا يقتصر على نقل الوقائع، وإنما يسهم في التعبير عن أبعادها النفسية والوجدانية، فينقل إحساسه بالألم والظلم، ويبرز ما أصاب أهل البيت (عليهم السلام) من مصائب، مع الإشارة إلى أن تلك الأحداث تجري وفق إرادة الله تعالى وقضائه، وهو ما يضفي على الخطاب بعداً إيمانياً وصبراً على البلاء، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. (القرآن الكريم، ج ٢٧، ٢٢– ٢٣)

ومن ثم يُصنف هذا النمط من السرد ضمن السرد الداخلي أو السرد المشارك؛ لأن الراوي يعد إحدى شخصيات الحكاية، ويشارك في أحداثها، ويتحدث عنها من موقع المعايشة المباشرة، الأمر الذي يمنح النص قدراً كبيراً من الصدق الفني والتأثير الوجداني، ويجعل القارئ أكثر ارتباطاً بالأحداث والشخصيات (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١١٠).

دوائر المكان ومكوناته

يحظى عنوان العمل الأدبي بعناية خاصة في الدراسات النقدية؛ لأنه يمثل العتبة الأولى التي يدخل منها القارئ إلى النص، ويحمل إشارات أولية تسهم في استشراف عالم الرواية وتوقع مسار أحداثها ومصائر شخصياتها. ولا تقتصر وظيفة العنوان على تسمية العمل وتمييزه، بل

تمتد لتؤدي وظيفة دلالية ورمزية تسهم في توجيه القراءة والكشف عن الأبعاد الفكرية والفنية التي يتضمنها النص (الخبو، ١٩٧٦، ص. ١٥٨).

وينطلق نص «مسير السبايا» من تصوير رحلة سبايا آل البيت (عليهم السلام) بعد واقعة الطف، إذ يبدأ مسار الركب من مدينة كربلاء في اليوم الحادي عشر من شهر المحرم سنة (٦١هـ)، عقب انتهاء المعركة. وبهذا تمثل كربلاء الدائرة المكانية الأولى التي تتشكل فيها الأحداث، ومنها تتفرع بقية الأمكنة التي يحتضنها البناء السردي، الأمر الذي يجعلها نقطة الانطلاق الرئيسة في دراسة الفضاء المكاني للنص.

أولاً: مدينة كربلاء

تحتل مدينة كربلاء مكانة تاريخية ودينية بارزة، فهي من المدن العراقية العريقة التي تعود جذورها إلى عصور قديمة، وتشير بعض الدراسات إلى أن تاريخها يمتد إلى العهد البابلي (الشهرستاني، ١٩٦٩، ص. ١٥٨). وقد تعددت الآراء في أصل تسميتها، فذهب فريق من الباحثين إلى أن اسمها يدل على معنى يرتبط بالقرب من الآلهة، في حين رأى آخرون أنه مشتق من لفظ «كور بابل»، في إشارة إلى جذورها التاريخية وصلتها بالحضارات القديمة. ويعكس هذا التعدد في تفسير الاسم ما تتمتع به المدينة من عمق تاريخي وحضاري، فضلاً عن مكانتها الدينية التي اكتسبتها بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، فأصبحت رمزاً خالداً للتضحية والإصلاح في الذاكرة الإسلامية.

أ- مكونات الدائرة المكانية: البيت

تعددت الآراء في أصل تسمية مدينة كربلاء، فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها كانت تضم مجموعة من القرى البابلية القديمة، مثل: نينوى، والغاضرية، وعقر بابل، والنواويس، والحائر، وأن هذه المواضع شكّلت في مجموعها الإطار الجغرافي الذي عُرف فيما بعد بمدينة كربلاء (طعمة، ١٩٨٨، ص. ١٦٨). بينما يرى فريق آخر أن التسمية مشتقة من لفظتي الكرب والبلاء، في إشارة إلى ما ارتبط بهذه الأرض من أحداث جسام ومحن عظيمة، الأمر الذي أكسبها مكانة خاصة في الذاكرة التاريخية والدينية (طعمة، ١٩٨٨، ص. ١١٠).

وانطلاقاً من هذه المكانة، اتسعت الدائرة المكانية في النص لتضم عدداً من المكونات التي تؤدي وظائف دلالية وجمالية، ويأتي البيت في مقدمة هذه المكونات؛ إذ تكرر حضوره في النص بصيغة بيوت آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، بما يحمله من معانٍ تتجاوز دلالته المادية إلى أبعاد إنسانية ورمزية.

فالبيت لا يمثل مجرد مكان للإقامة، بل يعد فضاءً للسكن والاستقرار والطمأنينة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (القرآن الكريم، ج ٢١، ٢١)، مما يؤكد أن السكن يرتبط بالاستقرار النفسي والوجداني قبل ارتباطه بالمكان المادي.

ومن جانب آخر، يكتسب البيت بعداً رمزياً يتصل بالذاكرة والهوية الإنسانية، فهو الوعاء الذي يحتفظ بذكريات الإنسان وأحلامه وتجربته الحياتية. ولذلك يرى غاستون باشلار أن البيت ليس مجرد بناء، وإنما فضاء تتداخل فيه الذكريات والأحلام، وتتفاعل داخله أزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، ليصبح جزءاً من التكوين النفسي للإنسان، وعنصراً فاعلاً في تشكيل وعيه ورؤيته للعالم، وهو ما يمنح المكان بعداً يتجاوز حدوده المادية إلى آفاقه الرمزية والوجدانية.

ب- الخيام

عندما وصل الإمام الحسين (عليه السلام) مع أهل بيته وأصحابه إلى أرض كربلاء، نُصبت الخيام لتكون مأوىً لهم ومقراً لإقامتهم قبل وقوع المعركة، وإلى شاهد على واحدة من أعظم المآسي في التاريخ الإسلامي. وقد ورد أن الإمام الحسين (عليه السلام) لما تأمل أرض كربلاء أشار إلى أنها الموضع الذي أخبره به جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنها ستكون مكان نزول الركب، وسفك الدماء، ووقوع المصيبة، وهو ما ينسجم مع الروايات التي تحدثت عن علم النبي (صلى الله عليه وآله) بما سيجري في هذه البقعة المباركة.

وقد روت أم سلمة (رض) أن النبي (صلى الله عليه وآله) سلّمها تربة من أرض كربلاء، وأخبرها أن تحولها إلى دم سيكون علامة على استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، فاحتفظت بها وهي تراقبها حتى وقع ما أخبر به النبي (صلى الله عليه وآله). وتعد هذه الرواية من الشواهد التي وردت في عدد من المصادر التاريخية والحديثية، وتؤكد المكانة الخاصة التي احتلتها أرض كربلاء في الوجدان الإسلامي قبل وقوع أحداث عاشوراء (العسكري، ج٣، ٢٠١٨، ص. ٣١).

وبعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه، امتدت يد المعتدين إلى خيام أهل البيت (عليهم السلام)، فأضرمت فيها النار، وأُجبرت النساء والأطفال على مغادرتها في مشهد جسّد قسوة المأساة وعظم الانتهاك. ويصور الراوي ذلك بقوله: "أخرجوا النساء من الخيام، وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر محرقات حافيات باكيات" (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١١).

ويحمل مشهد إحراق الخيام دلالات إنسانية ورمزية عميقة؛ إذ لم يكن الاعتداء موجهاً إلى الأبنية فحسب، وإنما استهدف آخر مظاهر الأمن التي احتمى بها أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله). فأصبحت الخيام، بعد احتراقها، رمزاً لانتهاك الحرمة، وللألم الذي عاشته النساء والأطفال بعد فقد الأحبة، مما أكسب المكان بعداً وجدانياً ظل حاضراً في الذاكرة الإسلامية، وأصبح من أبرز المشاهد التي تستحضرها المدونات التاريخية والسردية عند الحديث عن واقعة الطف.

ثانياً: مدينة الكوفة

تُعد مدينة الكوفة من أبرز المدن الإسلامية التي كان لها دور سياسي وعلمي بارز في التاريخ الإسلامي، إذ اتخذها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عاصمةً للدولة الإسلامية بعد انتقاله من المدينة المنورة إليها، فأصبحت مركزاً لإدارة شؤون الدولة، ومنطلقاً للعديد من النشاطات العلمية والفكرية، واحتضنت عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء ورواة الحديث، مما أكسبها مكانة متميزة في الحضارة الإسلامية (النجفي، ط٤، ١٩٨٧، ص. ١٤٢).

وقد تعددت الآراء في أصل تسمية الكوفة، فذهب بعض اللغويين والمؤرخين إلى أن الاسم مشتق من التكوف، بمعنى التجمع، في إشارة إلى اجتماع العرب فيها عند تأسيسها. كما قيل إن الكوفة تطلق على الأرض التي تمتزج فيها الحصباء بالرمل والطين، بينما يرى آخرون أن لفظ كوفان يدل على الأرض التي تتداخل فيها الحجارة والقصب والخشب، وهي تفسيرات تعكس الطبيعة الجغرافية للمدينة وظروف نشأتها (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٤٢).

وفي النص السردي تحتل الكوفة مكانة خاصة بوصفها إحدى الدوائر المكانية الرئيسة التي تمر بها أحداث مسير السبايا، إذ لم يكن اختيارها محطةً لمرور سبايا آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) أمراً عارضاً، وإنما ارتبط بطبيعة دورها السياسي آنذاك، باعتبارها مركزاً لاتخاذ القرار ومقراً للسلطة التي أشرفت على مجريات الأحداث. كما ارتبط حضورها في الذاكرة التاريخية بما سبقها من أحداث، وفي مقدمتها استشهاد مسلم بن عقيل (عليه السلام)، سفير الإمام الحسين (عليه السلام)، بعد تخلي أهل الكوفة عنه، الأمر الذي مهد للأحداث التي انتهت بواقعة الطف، ومنح المدينة بعداً تاريخياً وسردياً مؤثراً في بناء النص (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٤٢).

الطرقات

تُعد الطرقات من المكونات المكانية التي يبرز حضورها في دائرة مدينة الكوفة، إذ لم ترد في النص بوصفها معابر للانتقال فحسب، وإنما اكتسبت وظيفة سردية ودلالية أسهمت في تصوير أجواء المدينة عند دخول سبايا آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله). ويتجلى ذلك في قول الراوي: "سار ابن سعد بالسبايا، فلما قاربوا الكوفة غصّت الطرقات بأهلها، واجتمع الناس للنظر إليهم" (النجفي، ط٤، ١٩٨٧، ص. ١٠٥).

ويكشف هذا المشهد عن حالة استثنائية عاشتها المدينة، إذ يعكس ازدحام الطرقات حجم الاهتمام الشعبي بالحدث، كما يدل على أن السلطة كانت تدرك خطورة الموقف وما قد يترتب عليه من ردود أفعال، الأمر الذي جعلها تتخذ إجراءات أمنية مشددة لضبط حركة الناس ومنع أي محاولة للتعاطف مع أهل البيت (عليهم السلام) أو الاعتراض على ما جرى.

وتشير الروايات التاريخية إلى أن عبيد الله بن زياد أصدر أوامر تقضي بمنع أهل الكوفة من حمل السلاح في ذلك اليوم، كما نشر أعداداً كبيرة من الفرسان في الطرقات والأزقة؛ لإحكام السيطرة على المدينة ومنع حدوث أي تحرك قد ينشأ بدافع الحمية أو التعاطف مع السبايا. كذلك أمر بأن تُرفع الرؤوس على الرماح في أثناء سير الموكب، في محاولة لإظهار قوة السلطة وبث الرهبة في نفوس الناس، وهو ما يفسر الحضور المكثف للطرقات في النص السردي بوصفها فضاءً تجلت فيه هيمنة السلطة من جهة، ومشاعر الصدمة والأسى لدى أهل الكوفة من جهة أخرى (النجفي، ط٤، ١٩٨٧، ص. ٣٨٤).

وبذلك لم تعد الطرقات مجرد عنصر مكاني في الرواية، بل أصبحت فضاءً يحمل أبعاداً نفسية وسياسية، ويؤدي دوراً فاعلاً في إبراز طبيعة الصراع بين السلطة والجمهور، وفي تعميق الأثر الدرامي لمشهد دخول السبايا إلى الكوفة.

قصر الإمارة

يُعد قصر الإمارة من أبرز المعالم السياسية في مدينة الكوفة، إذ مثّل مقر الحكم والإدارة، واحتضن بيت المال، وكان المركز الذي تُدار منه شؤون الدولة في المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي. وقد أُنشئ القصر بعد تأسيس مدينة الكوفة، التي اتُّخذت معسكراً للجيوش الإسلامية ومنطلقاً لحركات الفتح، ثم ازدادت أهميته عندما جعلها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عاصمةً لدولته، فأصبح القصر مقراً لإدارة شؤون الحكم وتعاقب عليه الولاة والأمراء بعد ذلك (الطبري، ط٤، ١٩٧٩، ص. ٣٨٥).

وفي الخطاب السردي، يؤدي قصر الإمارة دوراً يتجاوز كونه مكاناً للأحداث، إذ يمثل فضاءً تمارس فيه السلطة نفوذها وهيبتها. ويتجلى ذلك في المشهد الذي يصور إدخال نساء الإمام الحسين (عليه السلام) وأطفاله إلى مجلس عبيد الله بن زياد، حيث جلست العقيلة زينب (عليها السلام) في جانب من القصر متخفية، فسأل عنها ابن زياد، فقيل له: إنها زينب بنت علي (عليها السلام)، وهو مشهد يكشف طبيعة العلاقة بين السلطة وأهل البيت (عليهم السلام)، ويبرز أجواء التوتر التي سادت ذلك المجلس (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١١٧).

كما يبرز القصر بوصفه مسرحاً لمظاهر القسوة التي أعقبت واقعة الطف، ومن ذلك ما يرويه النص عن وضع رأس الإمام الحسين (عليه السلام) بين يدي ابن زياد، وما صدر عنه من أفعال وأقوال عكست حجم التجاوز الذي ارتُكب بحق سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله). وقد أسهم هذا المشهد في ترسيخ الدلالة الرمزية لقصر الإمارة، بوصفه مكاناً تجلت فيه هيمنة السلطة من جهة، وصمود أهل البيت (عليهم السلام) وثباتهم من جهة أخرى، مما منحه حضوراً مؤثراً في البناء السردي للنص (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١١٥).

ثالثاً: الشام

تُعد بلاد الشام من الأقاليم التاريخية المهمة في المشرق العربي، وقد ضمت عبر العصور مناطق واسعة تشمل ما يعرف اليوم بسورية ولبنان والأردن وفلسطين. وفي العصر الأموي أصبحت مدينة دمشق مركز الدولة الأموية ومقر الخليفة، ومنها كانت تُدار شؤون الحكم، الأمر الذي جعلها تمثل المركز السياسي للدولة في تلك المرحلة (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٣٠).

وفي سياق أحداث مسير السبايا، كانت الشام المحطة الأخيرة التي انتهى إليها موكب سبايا أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك بعد أن وجّه عبيد الله بن زياد بإرسالهم مع رؤوس الشهداء إلى يزيد بن معاوية في دمشق. ويصور النص هذا المشهد بقوله: "أُدخل رأس الحسين (عليه السلام) مع نسائه ومن بقي من أهل بيته على يزيد بن معاوية..."، وهو ما يعكس انتقال الأحداث من الكوفة إلى مركز السلطة الأموية (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٣٠).

وتذكر الروايات أن الموكب دخل دمشق من أحد أبوابها الشرقية المعروف بباب الساعات، حيث اجتمع الناس لاستقبال القادمين، وقد أُعدت مظاهر الاحتفال في المدينة، في مشهد يعكس طبيعة الخطاب السياسي الذي أرادت السلطة ترسيخه آنذاك، من خلال إظهار انتصارها أمام عامة الناس.

ويكشف النص أن نقل السبايا إلى الشام لم يكن مجرد إجراء إداري، بل ارتبط بأهداف سياسية سعت السلطة الأموية إلى تحقيقها، تمثلت في إظهار هيبتها وإخماد أي توجه معارض بعد واقعة الطف. غير أن خطب الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) والعقيلة زينب (عليها السلام) في الكوفة ودمشق أسهمت في كشف حقيقة ما جرى، وأثارت تعاطف الناس مع أهل البيت (عليهم السلام)، الأمر الذي أدى إلى تغير الموقف العام، وأوجد ضغطاً شعبياً على السلطة.

وفي ضوء ذلك، تذكر الروايات أن يزيد بن معاوية غيّر موقفه بعد اتساع حالة الاستياء، فأمر بإكرام أهل البيت (عليهم السلام)، ورفع القيود عنهم، وأذن لهم بالعودة إلى المدينة، بعد أن خيّرهم في وجهتهم. وقد اختاروا العودة مروراً بالعراق، لزيارة مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، قبل متابعة الرحلة إلى المدينة المنورة، وهو ما يمثل خاتمة لمسير السبايا في البناء السردي للنص (الكوفي، ١٤٢٠هـ، ص. ١٤٦).

نتائج البحث

١. أظهرت الدراسة تنوع أنماط الرواة في النص بين الراوي الخارجي والراوي الداخلي، مما أضفى على السرد تعدداً في وجهات النظر، وأسهم في تعميق الدلالة الفنية والفكرية.

٢. كشفت الدراسة أن الراوي الداخلي، ولا سيما العقيلة زينب (عليها السلام) والإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، كان له أثر واضح في تعزيز المصداقية التاريخية وإبراز البعد الإنساني لواقعة الطف ومسير السبايا.

٣. بينت الدراسة أن المكان لم يكن إطاراً جامداً للأحداث، بل شكّل عنصراً بنائياً فاعلاً أسهم في إنتاج المعنى، وكشف الأبعاد النفسية والاجتماعية والفكرية للنص.

٤. أثبت البحث أن الأمكنة الرئيسة، مثل كربلاء والكوفة والشام، حملت دلالات رمزية وتاريخية، وكان لكل منها وظيفة سردية ارتبطت بطبيعة الأحداث التي شهدتها.

٥. أوضحت الدراسة أن اعتماد النص على أمكنة واقعية ذات مرجعية تاريخية أسهم في تعزيز مصداقية السرد، وربط الأحداث بواقعها التاريخي، مما زاد من قوة الإيهام بالواقع.

٦. بينت الدراسة أن العلاقة بين المكان والزمان جاءت علاقة تكاملية، إذ ارتبطت الأمكنة بالأحداث التاريخية، فأصبح كل مكان شاهداً على مرحلة زمنية محددة من مسير السبايا.

٧. كشفت الدراسة أن الخطب والحوارات الواردة في النص أدت وظيفة سردية مهمة، إذ أسهمت في تطوير الأحداث، وكشف مواقف الشخصيات، وترسيخ الرسالة الفكرية والإنسانية للنص.

٨. خلص البحث إلى أن كتاب «مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا يمتلك بنية سردية متماسكة، تقوم على التكامل بين المنظور السردي، والراوي، وبناء المكان، مما أكسب النص قيمة فنية وتاريخية، وجعله صالحاً للدراسة في ضوء المناهج السردية الحديثة.

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى دراسة المنظور السردي والراوي وبناء المكان في كتاب "مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا"، من خلال توظيف مفاهيم علم السرد الحديثة للكشف عن الآليات الفنية التي أسهمت في تشكيل الخطاب السردي، وإبراز أبعاده الفكرية والتاريخية والإنسانية. وقد بينت الدراسة أن المنظور السردي لم يكن مجرد وسيلة لنقل الأحداث، بل كان أداة فاعلة في توجيه الرؤية السردية، وتحديد طبيعة العلاقة بين الراوي والشخصيات والمتلقي، بما أسهم في بناء نص متماسك يجمع بين التوثيق التاريخي والتشكيل الفني.

كما أظهرت الدراسة أن الراوي، بتنوع أنماطه بين الخارجي والداخلي، أدى دوراً محورياً في نقل الوقائع، وإضفاء المصداقية على السرد، وتعميق الأثر النفسي والوجداني للأحداث، ولا سيما من خلال خطب العقيلة زينب (عليها السلام) والإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، التي مثّلت نماذج بارزة للتفاعل بين السرد والتاريخ والحجاج.

وكشفت الدراسة كذلك أن المكان لم يكن إطاراً ثابتاً للأحداث، وإنما أسهم في إنتاج الدلالة، وتجسيد القيم الإنسانية والفكرية التي حملها النص، إذ اكتسبت أمكنة مثل كربلاء والكوفة والشام أبعاداً رمزية وتاريخية تجاوزت حدودها الجغرافية، وأصبحت شاهدة على أحداث صنعت أثراً عميقاً في الذاكرة الإسلامية.

وتؤكد نتائج البحث أن كتاب "مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا" يمتلك بنية سردية متماسكة، تتكامل فيها عناصر المنظور السردي والراوي والمكان، بما يجعله نصاً جديراً بالدراسة في ضوء المناهج النقدية والسردية الحديثة، ويفتح المجال أمام دراسات لاحقة تتناول بقية مكوناته الفنية، مثل الزمن السردي، وبناء الشخصيات، والحوار، والأساليب الحجاجية، بما يسهم في تعميق فهم هذا النص وإبراز قيمته الأدبية والتاريخية.

المصادر

القرآن الكريم.

أحمد، مرشد، ٢٠٠٥، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية، بيروت، ط١.

باشلار، غاستون، (١٩٨٤)، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للنشر، بيروت، ط٢.

حماد، محمد، (١٩٨٥) "الكتابة القصصية في القرن الثاني"، مجلة المناهل، الأردن، العدد (٣٢).

الخبو، محمد، (١٩٧٦)، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، دار صامد، تونس.

خضير، محمد، (٢٠٠١)، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١.

سرحان، محمد غركان، (٢٠٢٦)، الأبعاد التداولية للإشاريات الشخصية في رواية الملك في بيجامته الضمائر أنموذجًا، مجلة جامعة واسط للعلوم الانسانية، ٢٢ (١). https://doi.org/١٠,٣١١٨٥/wjfh.Vol٢٢ss.١٤٧٢.١

الشهرستاني، هبة الدين الحسيني، (١٩٦٩)، نهضة الامام الحسين، منشورات رابطة النشر الإسلامي، كربلاء المقدسة.

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، (١٩٧٩) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ابو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هجرية) تحقيق محمد محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف ، مصر ط٤، مج٤.

طعمة، سلمان هادي، (١٩٨٨)، كربلاء في الذاكرة، مطبعة العاني، لاط.

العسكري، مرتضى، ٢٠١٨، حضر المدرستين، مركز الجمهورية للجمعية العلمية لأهل البيت، قم، ج ٣.

العيد، يمنى، (١٩٨٤)، في معرفة النص، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢.

الفيصل، سمر روحي، (١٩٩٥) بناء الرواية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

الكوفي، ابو مخنف لوط الغامدي، (١٤٢٠هـ)، مقتل الامام الحسين (عليه السلام) ومسير السبايا، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١.

المجلسي، محمد باقر (دت) بحار الأنوار، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج٢.

النجفي، حسين بن سيد احمد البرقي، (١٩٨٧) (ت ١٣٣٢ هجرية)، تاريخ الكوفة، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الاضواء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٤.

النصير، ياسين، (١٩٨٠)، الرواية والمكان، دار الحرية، بغداد.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، (١٣٠٥هـ)، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

يقطين، سعيد، (٢٠٠٥) قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٤.